

أبو الحسن علي بن الحسين النذوي

كيف يستعيد العرب مكانتهم اللائقة بهم؟

وكيف يحافظون عليها؟

الناشر :

دار عرفات للتربية ، و النشر و التوزيع
دائرة الشيخ علم الله، راني بريلى (الهند)

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

اهتم بالطبع
عتيق الرحمن الطيبي

المطبعة الندوية
مؤسسة الصحافة و النشر
ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)



كلمة عن الكتاب

الحمد لله وحده ، و الصلاة والسلام على من لا نبي

بعده !

و بعد ! فقد كان العالم العربي - بما فيه إمارات الخليج
و المملكة العربية السعودية - مع ما تشتمل عليه و تقوم
بمسئولته من الحرمين الشريفين - يسود عليه الهدوء وكانت
الأمور تجري مجراها الطبيعي ، إذا بالعالم يهتز في ١٠ / من
المحرم ١٤١١ هـ (٢ / من أغسطس ١٩٩٠ م) بحادثة مروعة
لم تنكس رؤس الدعاة إلى العدل و الاحترام الانساني
فحسب ، بل نكست رأس الملة الاسلامية بكاملها ، وغضت
بصرها ، و تندی لها جبينها حياها و خجلها ، و هي حادثة

الغزو العراقي المفاجئ للكويت ، التي أذاعتها محطات العالم
و وسائل الإعلام العالمية كصاعقة ، و حسب لها
العالم الإسلامي حساباً لم يحسبه لحادث منذ زمن طويل
بطبيعة الحال .

دعت رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة مؤتمراً
إسلامياً عاماً ، للبحث في هذا الموضوع في ٢١ - ٢٢ - ٢٣
من صفر ١٤١١ هـ (١٠ - ١١ - ١٢ من سبتمبر ١٩٩٠ م)
في مقر الرابطة في مكة المكرمة ، حضره و مثل فيه عدد
من علماء المسلمين وقادة الفكر ، ورؤساء الجمعيات والحركات
الإسلامية ، و الشخصيات الإسلامية المرموقة ، لم يشهد
في مؤتمرات إسلامية قريية ، و أبدوا مشاعرهم و عواطفهم
و علقوا على الحادث في حرية و انطلاق ، و لم يحدوا
مبرراً دينياً ، و لا خلقياً و مبدئياً لهذا العمل ، و اتفقوا
على أن هذا الغزو يتنافى مع الضمير الإنساني و مبادئ
الأخلاق العامة — فضلاً عن التعاليم الإسلامية — و يعتبر
إجراءً مذموماً و مرادفاً للقرصنة .

شارك في المؤتمر كاتب هذه السطور و عرض مقالا
عنوانه « المسألة الاخيرة في العالم العربي ، دراستها من
الناحية الدينية و الخلقية و المبدئية و الدعوية و تحليل
أسبابها و إنعكاساتها ، كان موضع العناية و الإهتمام من
المستمعين الكرام ، و أذاعته محطات الإذاعة السعودية ،
و نشرته الصحف و المجلات .

و قد اكتفى الكاتب في هذا المقال باستعراض هذا
الفزو الإجمالى ، و نقده من الناحية الدينية و الخلقية
و الإنسانية ، ولم يتعرض — لقصر الوقت و تأثير الجو
المكهرب الحزين الحانق — للإشارة إلى مواضع الضعف
فى المجتمع العربى الإسلامى ، من ناحية وجود الوعى السياسى
و الإستعداد الحربى ، و قوة مقاومة هذه الهجمات الشائنة
المهينة ، بل منعها و استحالة وقوعها ، لأن ذلك يحتاج إلى
جو هادى ، و فكر متفتح ، و فرصة هوائية ، و حانت له
التفاته ، و هو فى مكة المكرمة ، إلى كتابه القديم المشهور
« ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الذى نال من

الانتشار و القبول في الأوساط الإسلامية و العربية ما لم
ينله كتاب آخر للؤلؤف ، و ظهرت له نحو عشرين طبعة
— قانونية و غير قانونية — و تصفح فصله الأخير الذي
عنوانه « زعامة العالم العربي » فوجد أن ما كتبه و جرى على
قلبه بتوفيق الله تعالى قبل أربعين سنة، ينطبق تماماً على هذا
العصر و يتجاوب مع أحداثه ، و يسترعى انتباه المعنيين
بقضية العالم العربي و مصيره و مستقبله ، و أنه لا يحتاج
إلى تغيير أو تطوير .

و شرح الله صدر كاتب هذه السطور لأن ينشره
من جديد بعنوان : « كيف يستعيد العرب مكانتهم اللائقة
بهم و يحافظون عليها ؟ » ، و إلى القراء و القادة و الموجهين
في العالم العربي ، و رجال الدعوة و التربية و المعنيين بقضية
الاقطار العربية الإسلامية ، و الذين يتمنون أن لا تكون
منطقة — مهما صغر حجمها — فريسة سهلة أو لقمة
سائغة ، لغزو مفاجئ ، أو هجوم طارق ، من الداخل أو
الخارج ، أو تعيش منطقة في حذر و خطر من غير أن

أعد له عدته، هذا الفصل من الكتاب، الذي يجيبى - رغم
تقدمه الزمنى - فى أوانه ومكانه، و على الله قصد السبيل
و هو الموفق و المعين .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

ندوة العلماء - لكهنؤ (الهند)

٩ / ربيع الاول ١٤١١ هـ

٢٩ / سبتمبر ١٩٩٠ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كيف يستعيد العرب مكاتهم
اللا ثقة بهم و كيف يحافظون عليها ؟

أهمية العالم العربي :

إن العالم العربي له أهمية كبيرة في خريطة العالم السياسية ، و ذلك لأنه وطن أمم لعبت أكبر دور في التاريخ الإنساني ، و لأنه يحتضن منابع الثروة و القوة الكبرى : الذهب الأسود الذي هو دم الجسم الصناعي و الحربى اليوم ، و لأنه صلة بين أوربا و أمريكا ، و بين الشرق الأقصى ، و لأن قلب العالم الاسلامى النابض يتجه إليه روحياً و دينياً و يدين بحبه و ولائه ، و لأنه عسى لا قدر الله — أن يكون ميدان الحرب الثالثة ، و لأن

فيه الأيدي العاملة ، والمقول المفكرة ، والاجسام المقاتلة ،
والاسواق التجارية ، و الاراضى الزراعية ، و لان فيه
مصر ذات النيل السعيد بتاجها ومحصولها و خصبها وثروتها
ورقيها و مدنيها ، و فيه سورية و فلسطين و جاراتها ،
باعتدال مناخها وجمال إقليمها وأهميتها الاستراتيجية ، وبلاد
الرافدين بشكيمه أهلها و منابع البترول فيها ، و الجزيرة
العربية بمركزها الروحي و سلطانها الديني ، و اجتماع الحج
السنوى الذى لا مثيل له فى العالم ، و آبار البترول الغزيرة ،
كل ذلك قد جعل العالم العربى محط أنظار الغربيين ،
و ملتقى مطامعهم و ميدان تنافس لقيادتهم ، و كان رد
فعله أن نشأ فى العالم العربى شعور عميق بالقومية العربية ،
و كثر التقى « بالوطن العربى » ، و « المجد العربى » :

محمد رسول الله روح العالم العربى :

و لكن المسلم ينظر إلى العالم العربى بغير العين التى
ينظر بها الأوربي ، و بغير العين التى ينظر بها الوطنى العربى ،
إنه ينظر إليه كهده الاسلام و مشرق نوره و معقل الانسانية

و موضع القيادة العالمية ، و يعتقد أن سيدنا محمداً العربي هو روح العالم العربي و أساسه و عنوان مجده ، و أن العالم العربي — بما فيه من موارد الثروة و القوة و بما فيه من خيرات و حسنات — جسم بلا روح ، و خط بلا وضوح إذا انفصل - لا سمح الله بذلك - عن سيدنا رسول الله ﷺ و قطع صلته عن تعاليمه و دينه ، و أن سيدنا رسول الله ﷺ هو الذى أبرز العالم العربي للوجود ، فقد كان هذا العالم وحدات مفككة ، و قبائل متناحرة ، و شعوباً مستعبدة ، و مواهب ضائعة ، و بلاداً تسكع فى الجهل و الضلالات ، فكان العرب لا يحملون بمناجزة الدولة الرومية و الفارسية و لا يخطر ذلك منهم على بال ، و لا يصدقون بذلك إذا قيل لهم فى حال من الأحوال ، و كانت سورية التى تكون جزءاً مهماً من العالم العربي مستعمرة رومية تعانى الملكية المطلقة و الحكم الجائر المستبد لا تعرف معنى الحرية و العدل ، و كان العراق مطيبة لشهوات الدولة السكيانية مثقلة بالضرائب المحجفة والاتاوات

الفادحة ، و كانت مصر قد اتخذها الرومان ناقصة حلوباً
 ركوباً ، يجزون صوفها و يظلمونها في علقها ، ثم لأنها تعاني
 الاضطهاد الديني مع الاستبداد السياسي ، فالثبت هذا العالم
 المفكك المنحل ، المظلوم المضطهد ، أن هبت عليه نفحة من
 نفحات الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ ، أدرك رسول
 الله هذا العالم و هو ضائع هالك و أخذ يده و هو
 ساقط متهالك ، فأحياء باذن الله و جعل له نوراً يمشى به
 في الناس ، و عليه الكتاب و الحكمة و زكاه ، فكان هذا
 العالم بعد البعثة المحمدية سفير الإسلام ، و رسول الأمن
 و السلام ، و رائد العلم و الحكمة ، و مشعل الثقافة و الحضارة ،
 كان غوثاً للأمم ، غيثاً للعالم ، هنالك كانت الشام و كان
 العراق ، و كانت مصر ، و كان العالم العربي الذي تتحدث
 عنه ، فلولا محمد ﷺ ، و لو لا رسالته ، و لو لا ملته ،
 لما كانت سورية ، و لا كان العراق ، و لا كانت مصر ،
 و لا كان العالم العربي ، بل و لا كانت الدنيا كما هي الآن
 حضارة و عقلا ، و ديانة و خلقاً ، فمن استغنى عن دين

الإسلام من شعوب العالم العربي وحكوماته ، و ولى وجهه
 شطر الغرب أو أيام العرب الأولى ، أو استلهم قوانين
 حياته أو سياسته من شرائع الغرب و دساتيره ، أو أسس
 حياته على العنصرية أو العروبة التي لا شأن لها بالإسلام ،
 و لم يرض برسول الله قانداً و رائداً و إماماً و قدوة ،
 فليرد على محمد بن عبد الله ﷺ نعمته ويرجع إلى جاهليته
 الأولى ، حيث الحكم الروماني و الإيراني ، و حيث
 الاستعباد و الاستبداد ، و حيث الظلم و الاضطهاد ،
 و حيث الجهل و الضلالة ، و حيث الغفلة و البطالة ،
 و حيث العزلة عن العالم ، و الخمول و الجمود ، فان هذا
 التاريخ المجيد ، و هذه الحضارة الزاهية ، و هذا الأدب
 الزاخر ، و هذه الدول العربية ، ليست إلا حسنة من
 حسنات محمد عليه الصلاة و السلام .

الإيمان هو قوة العالم العربي :

فالاسلام هو قومية العالم العربي ، و محمد ﷺ هو
 روح العالم العربي و إمامه و قائده ، و الإيمان هو قوة العالم

العربي التي حارب بها العالم البشري كله فانتصر عليه ، و هو قوته و سلاحه اليوم كما كان بالأمس ، به يقهر أعداءه ، و يحفظ كيانه و يؤدي رسالته ، إن العالم العربي لا يستطيع أن يحارب الصهيونية أو الشيوعية أو عدواً آخر بالمال الذي ترضخه بريطانيا أو تصدق به أمريكا أو روسيا ، أو تعطيه مقابل ما تأخذ من أرضه من الذهب الأسود ، إنما يحارب عدوه بالايان و القوة المعنوية ، و بالروح التي حارب بها الدولة الرومية و الامبراطورية الفارسية في ساعة واحدة فانتصر عليهما جميعاً ، إنه لا يستطيع أن يحارب أعداءه بقلب يحب الحياة و يكره الموت ، و يحسم يميل إلى الدعة و الراحة ، و عقل يخامرُه الشك و تتنازع فيه الافكار والاهواء ، أو بيد مضطربة و قلب متشكك ضعيف الايمان و قوة متخاذلة في الميدان ، فالهمم لامراء العرب وزعماتهم و قادة الجامعة العربية ، أن يفرسوا الايمان في الشعوب العربية ، و جماهير الأمة و أولياء الامور ، و الجيوش العربية و الفلاحين و التجار ، و في كل طبقة من طبقات

الجمهور ، و يشعلوا فيها شعلة الجهاد في سبيل الله ، والتوق إلى الجنة ، و يبعثوا فيها الاستهانة بالمظاهر الجوفاء و زخارف الدنيا ، و يعلوهم كيف يتغلبون على شهوات النفس و مألوفات الحياة ، و كيف يتحملون الشدائد في سبيل الله و كيف يستقبلون الموت بشعر باسم ، و كيف يتهاقون عليه تهافت الفراش على النور .

تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية :

بعث رسول الله ﷺ و قد بلغت شقاوة الإنسانية غاية ما وراها غاية ، و كانت قضية الإنسانية أعظم من أن يقوم لها أفراد متنعمون لا يتعرضون للخطر ولا الخسارة ولا محنة ، لهم النعيم الحاضر و الغد المضمون ، إنما تحتاج هذه القضية إلى أناس يضحون بإمكاناتهم و مستقبلهم في سبيل خدمة الإنسانية و أداء رسالتهم المقدسة ، و يعرضون نفوسهم و أموالهم و معائشهم و حظوظهم من الدنيا للخطر و الضياع ، و تجاراتهم و حرفهم و مكاسبهم للتلف و الكساد ، و يخيبون آمال آباؤهم و أصدقائهم فيهم ،

حتى يقولوا للواحد منهم كما قال قوم صالح : « قالوا
يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا ، (١) .

إنه لا بقاء للإنسانية و لا قيام لدعوة كريمة بغير
هؤلاء المجاهدين ، و بشقاء هذه الحفنة من البشر في الدنيا
— كما يعتقد كثير من معاصريهم — تنعم الإنسانية وتسعد
الأمم ، و يتحول تيار العالم ، من الشر إلى الخير ، و من السعادة
أن يشقى أفراد و تنعم أمم ، و تضيع أموال و تكسد
تجارات لبعض الافراد ، و تنجو نفوس و أرواح لا يحصيها
إلا الله من عذاب الله و من نار جهنم .

علم الله عند بعثة الرسول ﷺ أن الروم و الفرس
و الأمم المتحضرة المتصرفة بزمام العالم المتمدن ، لا تستطيع
بحكم حياتها المصطنعة المترفة أن تتعرض للخطر و تتحمل
المثاعب و المصاعب في سبيل الدعوة و الجهاد و خدمة
الإنسانية البائسة ، و لا تستطيع أن تضحي بشيء من دقائق
مدينتها و تأنيقاتها في الملابس و الأكل ، و أن تنزل عن

(١) سورة هود : الآية ٦٢ .

حظوظها و لذاتها و زخارفها فضلا عن حاجاتها ، و أنه لا يوجد فيها أفزاد يقوون على قهر شهواتهم ، و الحسد من طموحهم و الزهد في فضول الحياة و مطامع الدنيا ، والقناعة بالكفاف ، فاختر لرسالة الإسلام و صحبة الرسول عليه الصلاة و السلام أمة تضطلع بأعباء الدعوة و الجهاد و تقوى على التضحية و الايثار ، تلك هي الأمة العربية القوة السليمة التي لم تبتلعها المدينة و لم ينخرها البذخ و الترف ، و أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر الناس قلباً و أعظمهم علماً و أقلمهم تكلفاً .

قام الرسول بهذه الدعوة العظيمة فأدى حقوقها : من الجهاد في سبيلها و إيثارها على كل ما يقف في وجهها و العزوف عن الشهوات و مطامع الدنيا ، فكان في ذلك أسوة و إماماً للعالم كله ، كلبه وفد قريش و عرض عليه كل ما يغرى الشباب و يرضى الطامحين ، من رئاسة و شرف و مال عظيم و زواج كريم ، فرفض كل ذلك في صرامة و صراحة ، و كلبه عمه و حاول أن يجد من نشاطه في

سبيل الدعوة فقال : يا عم و الله لو وضعوا الشمس
 في يميني و القمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى
 يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ، ثم كان أسوة للناس
 في عصره و بعد عصره بقيامه بأكبر قسط من الجهاد
 و الايثار ، و الزهد و شطف العيش و أقل قسط من
 العيش و أسباب الحياة ، فقد أوصد على نفسه الابواب
 و سد في وجهه الطرق و تعدى ذلك إلى أسرته و أهل
 بيته و المتصلين به ، فكان أكثر الناس اتصالاً به و أقربهم
 إليه ، أقلهم حظاً في الحياة ، و أعظمهم نصيباً في الجهاد
 و الايثار ، فاذا أراد أن يحرم شيئاً بدأ ذلك بعشيرته
 و بيته ، و إذا سن حقاً أو فتح باباً لمنفعة قدم الآخرين
 و ربما حرمه على عشيرته الاقربين ، أراد أن يحرم الربا
 فبدأ بربا عمه عباس بن عبد المطلب فوضعه كله ،
 و أراد أن يهدر دماء الجاهلية فبدأ بدم ربيعة بن الحارث
 ابن عبد المطلب فأبطله ، و سن الزكاة و هي منفعة مالية
 عظيمة مستمرة إلى يوم القيامة فحرمها على عشيرته بني هاشم

إلى آخر الأبد ، و كلبه على بن أبي طالب يوم الفتح أن
يجمع لبي هاشم الحجابة مع السقاية فابي ، و طلب عثمان
ابن طلحة و ناوله مفتاح الكعبة و قال : هاك مفتاحك
يا عثمان ، اليوم يوم بر و وفاء ، و قال خذوما خالدة
تالدة فيكم لا ينزعها منكم إلا ظلم ، و حمل أزواجه على
الزهد و القناعة و شظف العيش و خيرهن بين عشرتهن
مع الفقر و ضيق العيش ، و مفارقتها مع السعة و الرخاء
و تلا عليهن قوله تعالى : يا أيها النبي قل لأزواجك
إن كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها فتعالين أمتعن
و أسرحكن سراحاً جميلاً ، و إن كنتن تردن الله ورسوله
و الدار الآخرة فإن الله أعد للحسنات منكن أجراً
عظيماً ، (١) فاخترن الله و الرسول ، و تأتيه فاطمة
تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحي و بلغها أنه جاءه
رقيق ، فيوصيها بالتسبيح و التحميد و التكبير و يقول لها
إنه خير لها من خادم . . و هكذا كان شأنه مع أهل
بيته و المتصلين به فالأقرب ثم الأقرب .

(١) سورة الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩ .

و آمن به رجال من قريش في مكة فاضطربت حياتهم الاقتصادية اضطراباً عظيماً ، و كسدت تجارتهم و حرم بعضهم رأس ماله الذي جمعه في حياته ، و حرم بعضهم أسباب الترف و الرخاء و أناقة اللباس التي كان فيها مضرب المثل ، و كسدت تجارة بعضهم لاشتغاله بالدعوة و انصراف الزبائن عنه و حرم بعضهم نصيبه في ثروة أبيه . ثم لما هاجر الرسول إلى المدينة و تبعه الانصار تأثرت بذلك بساكنهم و مزارعهم فلما أرادوا أن يقبلوا عليها بعض الوقت و يصلحوها ، لم يسمع لهم بذلك و أنذرهم الله به فقال : « و أنفقوا في سبيل الله و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، (٢) .

و هكذا كان شأن العرب و الذين احتضنوا هذه الدعوة منهم فقد كان نصيبهم من متاعب الجهاد و خسائر النفوس و الاموال أعظم من نصيب أي أمة في العالم و قد خاطبهم الله بقوله : « قل إن كان آباؤكم و أبنائكم » (٢) سورة البقرة : ١٩٥ .

— ١٩ —

الانسانية و استمراراً للاوضاع السيئة في العالم فقال : « إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض و فساد كبير » ، (١) . و قد وقف العالم في القرن السادس المسيحي على مفترق الطرق إما أن يتقدم العرب و يعرضوا نفوسهم و أموالهم و أولادهم و كل ما يعز عليهم ، للخطر و يزهّدوا في مطامع الدنيا و يضحوا في سبيل المصلحة الاجتماعية بأنانيتهم فيسعد العالم و تستقيم البشرية و تقوم سوق الجنة و تروج بضاعة الايمان ، و إما أن يؤثروا شهواتهم و مطامعهم و حظوظهم الفردية على سعادة البشرية و صلاح العالم فيبقى العالم في حما الضلالة و الشقاء إلى ما شاء الله ، و قد أراد الله بالانسانية خيراً و تشجع العرب — بما نفع فيهم محمد ﷺ من روح الايمان و الايثار و حب إليهم الدار الآخرة و ثوابها — فقدموا أنفسهم فداء للانسانية كلها و زهدوا في مطامع الدنيا طمعاً في ثواب الله و سعادة النوع الانساني و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله

(١) سورة الانفال : ٧٣ .

— ٢١ —

و إخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال اقربتموها
و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها أحب إليكم من
الله و رسوله و جهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره
و الله لا يهدي القوم الفاسقين ، (١) و قال : « ما كان
لأهل المدينة و من حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن
رسول الله و لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، (٢) لأن
سعادة البشرية إنما كانت تتوقف على ما يقدمونه من تضحية
وإثبات و ما يتحملونه من خسائر و نكبات فقال : « و لنبلونكم
بشيء من الخوف ، و الجوع و نقص من الأموال و الأنفس
و الثمرات ، (٣) و قال : « أحسب الناس أن يتركوا
أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون ؟ ، (٤) و كان إحجام
العرب عن هذه المكربة و ترددهم في ذلك امتداداً لشقاه

(١) - سورة التوبة : ٢٤ .

(٢) - سورة التوبة : ١٢٠ .

(٣) - سورة البقرة : ١٥٥ .

(٤) - سورة العنكبوت : ٢ .

وضحوا بكل ما يحرص عليه الناس من مطامع و شهوات
و آمال و أحلام و أخلصوا لله العمل و الجهاد فأثام الله
ثواب الدنيا و حسن ثواب الآخرة و الله يحب المحسنين .

و قد استدار الزمان كهيئته يوم بعث الرسول ، و وقف
العالم على مفترق الطرق مرة ثانية ، إما أن يتقدم العرب
- و هم أمة الرسول و عشيرته - إلى الميدان و يغامروا
بنفوسهم و إمكانياتهم و مطامعهم و يخاطروا بما هم فيه من
رخاء و ثراء و دنيا واسعة . و فرص متاحة للعيش
و أسباب ميسورة ، فينهض العالم من عثاره و يتبدل الأرض
غير الأرض ، و إما أن يستمروا فيما هم فيه من طمع
و طموح ، و تنافس في الوظائف و المرتبات و تفكر في
مكثرة الدخل و الإيراد و زيادة غلة الأملاك و ربح
التجارات و الحصول على أسباب الترف و التمتع ، فيبقى
العالم في هذا المستنقع الذي يتردى فيه منذ قرون .

إن العالم لا يسعد و خيرة الشباب في العواصم
العربية عاكفون على شهواتهم تدور حياتهم حول المادة

و المدة لا يفكرون في غيرها و لا يترفعون عن الجهاد
في سبيلها، ولقد كان شباب بعض الأمم الجاهلية الذين ضحوا
بمستقبلهم في سبيل المبادئ التي اعتنقوها، أكبر منهم نفساً،
وأوسع منهم فكراً، بل كان الشاعر الجاهلي «امرؤ القيس»،
أعلى منهم همّة، إذ قال :

و لو أننى أسعى لأدنى معيشة
كفانى و لم أطلب قليل من المال
و لكننا أسعى لمجد مؤثر
و قد يدرك المجد المؤثر أمثالى

إن العالم لا يمكن أن يصل إلى السعادة إلا على
قنطرة من جهاد و متاعب يقدمها الشباب المسلم، إن
الأرض لفي حاجة إلى سماد، و سماد أرض البشرية الذي
تصلح به و تنبت زرع الاسلام الكريم هي الشهوات
و المطامع الفردية التي يضحى بها الشباب العربي في سبيل
علو الاسلام و بسط الأمن و السلام على العالم و انتقال
الناس من الطريق المؤدية إلى جهنم إلى الطريق المؤدية
إلى الجنة .

إنه ثمن قليل جداً لسلمة عالية جداً .

العناية بالفروسية و الحياة العسكرية :

من الحقائق المؤلمة أن الشعوب العربية قد فقدت كثيراً من خصائصها العسكرية ، و رزئت في فروسياتها التي كانت معروفة بها في العالم ، فكانت رزية كبيرة و خسارة فادحة ، و كانت سبباً من أسباب ضعفها و عجزها في ميدان الجهاد ، فقد اضمحلت الروح العسكرية ، و ضعفت الاجسام و نشأ الناس على التنعم ، و قد حلت السيارات محل الجياد حتى كادت الخيل العربية تنقرض من الجزيرة العربية ، و هجر الناس المصارعة و المناضلة و سباق الخيل و أنواع الرياضة البدنية و التدريبات العسكرية ، و استبدلوا بها ألعاباً لا تفيدهم شيئاً ، فالمهم لرجال التعليم و التربية و قادة الشعوب العربية أن يربوا الشبيبة العربية على الفروسية و الحياة العسكرية ، و على البساطة في المعيشة و خشونة العيش و الجلادة و تحمل المشاق و المتاعب ، و الصبر على المكروه . ١

و قد كتب المربي الكبير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى بعض عماله العرب و هم في بلاد العجم :
 • إياكم و التمتع و زى العجم ، و عليكم بالشمس فانها حمام
 العرب ، و تمعدوا (١) ، و اخشوشنوا (٢) ، و اخشوشبوا (٣)
 و اخلولقوا (٤) ، و أعطوا الركب أسنتها و انزوا نزوا ،
 و ارموا الأغراض ، (٥) .

و قد قال النبي ﷺ : « ارموا بني إسماعيل فان
 أباكم كان رامياً ، (٦) و قال : « ألا إن القوة الرمي ،
 ألا إن القوة الرمي ، (٧) .

(١) تمعدد الغلام : شب و غلط ، و قيل معناه : تشبهوا بهيش معد بن عدنان ، و كان ذا غلط و تقشف .

(٢) اخشوشن : تخشش في المطعم و الملبس .

(٣) اخشوشب : صار صلباً كالخشب في أحواله و صوره على الجهد .

(٤) تبللوا في الملابس .

(٥) رواه البخاري عن أبي عثمان النهدي .

(٦) رواه البخاري .

(٧) رواه مسلم .

و من واجب رجال التربية و ولاية الامر أن
 يحاربوا بكل قوتهم ما يضعف روح الرجولة و الجلادة
 و يبعث على التخثث و العجز ، من عادات و أدب
 صحافة و تعليم ، و يأخذوا على يد الصحافة الماجنة و الادب
 الخليع الملحد ، الذى ينشر فى الشباب النفاق و الدعارة
 و الفسوق ، و عبادة اللذة و الشهوات ، و لا يسمحوا
 لهؤلاء التجار الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين
 آمنوا أن يدخلوا فى معسكر محمد ﷺ الذى بعث ليتمم
 مكارم الاخلاق ، و يفسدوا على الناشئة الاسلامية قلبها
 و اخلاقها ، و يزينوا لها الفسوق و العصيان ، و حب
 الفحشاء ، بثمان بخص دراهم معدودة ، و قد شهد التاريخ
 بأن كل أمة أصيب رجالها فى رجولتهم و غيرتهم ،
 و نساؤها فى أنوثتهن و أمومتهم ، و طغى فيهن التبرج ،
 و مزاحمة الرجال فى كل شئ ، و الزهد فى الحياة المنزلية ،
 و حبب إليهن العقم ، أقل نجمها و كسفت شمسها ، فأصبحت
 أثراً بعد عين .

هذه كانت عاقبة اليونان و الرومان و الفرس ، و إن
أوروبا لفي طريقها إلى هذه العاقبة ، فليحذر العالم العربي من
هذا المصير الهائل .

محاربة التبذير و الفرق الهائل بين الغنى و الصعول :

و قد اعتاد العرب لأسباب كثيرة و بتأثير الحضارة
الغربية ، حياة الترف و الدعة و الاعتداد الزائد بالكجاليات
و فضول الحياة و الإسراف و التبذير و الاستهانة بمال الله
في سبيل اللذة و الشهوة و الفخر و الزينة .

إيجاد الوعي في الأمة :

إن أخوف ما يخاف على أمة و يعرضها لكل خطر
و يجعلها فريسة للنافقين و لعبة العابثين ، هو فقدان الوعي
في هذه الأمة ، واقتنائها بكل دعوة و اندفاعها إلى كل موجة
و خضوعها لكل متسلط و سكوتها على كل فظيعة و تحملها
لكل ضيم ، و أن لا تعقل الأمور ولا تضعها في مواضعها
و لا تميز بين الصديق و العدو و بين الناصح و الفاش
و أن تلدغ ببحر مرة بعد مرة و لا تنصحبها الحوادث ،

ولا تروعها التجارب ، ولا تنفزع بالكوارث ، و لا تزال
تولى قيادها من جربت عليه الغش و الخديعة و الخيانة
و الأثرة و الأنانية و الجبن و العجز ، و الخرق و الطيش ،
و كان سبباً للهزيمة و الذلة ، و لا تزال تضع ثقتها فيه
و تمكنه من نفسها و أموالها و أعراضها و مفاتيح ملكها ،
و تنسى سريعاً ما لاقت على يده من الخسائر و النكبات
فيجتريء بذلك السياسيون المحترفون ، و القادة الخائون
و يأمنون سحق الأمة و محاسبتها و يتمادون في غيهم
و يسترسلون في خياناتهم و عبثهم ، ثقة ببلامة الأمة
و سداجة الشعب و فقدان الوعي .

إن الشعوب الإسلامية و البلاد العربية — مع
الأسف — ضعيفة الوعي — إذا تخرجنا أن نقول : فاقدة
الوعي — فهي لا تعرف صديقها من عدوها و لا تزال
تعاملهما معاملة سواء أو تعامل العدو أحسن مما تعامل
الصديق الناصح ، وقد يكون الصديق في تعب و جهاد معها
طول حياته بخلاف العدو ، و لا تزال تلدغ بحجر واحد

ألف مرة ولا تعتبر بالحوادث و التجارب ، وهي ضعيفة
الذاكرة سريعة النسيان تنسى ماضى الزعماء و القادة ،
وتنسى الحوادث القريبة و البعيدة ، وهي ضعيفة في الوعي
الديني و الوعي الاجتماعي و أضعف في الوعي السياسي ،
و ذلك ماجر عليها و يلا عظيماً و شقاء كبيراً و ساط عليها
القيادة الزائفة و فضحها في كل معركة .

إن الأمم الأوروبية - برغم إفلاسها في
الروح و الأخلاق و برغم عيوبها الكثيرة - قوية
الوعي - الوعي المدني و السياسي - و قد بلغت
سن الرشد في السياسة ، و أصبحت تعرف نفعها من
ضررها ، و تميز بين الناصح و الخادع ، و بين الخلف و المنافق ،
و بين الكفو و العاجز ، فلا تولى قيادتها إلا الأكفأ
الاقوياء الامناء ، ثم لا توليهم أموراً إلا على حذر ، فإذا
رأت منهم عجزاً أو خيانة أو رأت أنهم مثلوا دورهم و انتهوا
من أمرهم ، استغنت عنهم و أبدلت بهم رجالاً أقوى منهم
و أعظم كفاءة و أجدر بالموقف ، و لم يمنعها من إقالتهم

أو إقصائهم من الحكم ماضيهم الرائع و أعمالهم الجميلة
و انتصارهم في حرب ، أو نجاحهم في قضية ، و بذلك
أمنت السياسيين المحترفين ، و القيادة الضعيفة أو الخائفة ،
و خوف ذلك الزعماء ، و رجال الحكم و كانوا حذرين
سامرين يخافون رقابة الأمة و عقابها و بطش الرأي العام .

فن أعظم ما تستخدم به هذه الأمة و تؤمن من المهازل
والمآسى التي لا تكاد تنتهى ، هو إيجاد الوعي في طبقاتها
و دهمائها و تربية الجماهير التريية العقلية والمدنية و السياسية ،
ولا يخفى أن الوعي غير فشو التعليم و زوال الامية و إن
كانت هذه الاخيرة من أنجح وسائلها ، و يعرف الزعماء
السياسيون والقادة أن الأمة التي يعوزها الوعي غير جديرة
بالثقة ولا تبعث حالتها على الارتياح و إن أطرت الزعامة
و الزعماء و قدستهم ، فانها — ما دامت ضعيفة الوعي —
عرضة لكل دعاية و تهريج و سخرية كريشة في فلاة تلعب
بها الرياح ولا تستقر في مكان .

استقلال البلاد العربية في تجارتها و ماليتها :

و كذلك لا بد للعالم العربي — كالعالم الإسلامي — من الاستقلال في تجارتها و ماليته و صناعته و تعليمه ، لا تلبس شعوبه و جماهيره إلا ما تنبتة أرضه و تنسجه يده ، و تستغنى عن الغرب في جميع شؤون حياتها ، و في كل ما تحتاج إليه ، من كسوة ، و طعام ، و بضائع ، و مصنوعات ، و أسلحة و جهاز حربي ، و آلات و ماكينات ، و أدوية ، فلا تكون كالأمة التي لا يستطيعون عيالا عليه في معيشتها و متطفلة على مائدته .

إن العالم العربي لا يستطيع أن يحارب الغرب — إذا احتاج إلى ذلك و دعت إليه الظروف — و هو مدين له في ماله ، عيالا عليه في لباسه و بضائعه ، لا يجد قلباً يوقع به على ميثاق مع الغرب إلا القلم الذي صنع في الغرب ، و لا يجد ما يقاتل به الغرب ، إلا الرصاص الذي أفرغ في الغرب ، إن عاراً على الأمة العربية أن تعجز عن الانتفاع بمنابع ثروتها و قوتها ، و أن يجرى ماء

الحياة في عروقتها وشرائنها إلى أجسام غيرها، وأن يدرّب جيوشها و كلاء الغرب و ضباطه ، و يدير بعض مصالح حكومتها رجاله ، فلا بد للعالم العربي أن يقوم هو نفسه بمحاجاته : تنظيم التجارة و المالية ، و حركة التوريد و التصدير ، و الصناعة الوطنية ، و تدريب الجيش ، و صنع الآلات و الماكينات و تربية الرجال الذين يضطلمون بجميع مهمات الدولة و وظائف الحكومة في خبرة و مهارة فنية ، و أمانة و نصيحة .

رجاء العالم الاسلامى فى العالم العربى :

و العالم العربى بمواقبه و خصائصه و حسن موقعه الجغرافى و أهميته السياسية ، يحسن الاضطلاع برسالة الاسلام ، و يستطيع أن يتقلد زعامة العالم الاسلامى ، و يزاحم أوربا بعد الاستعداد الكامل ، و ينتصر عليها بإيمانه و قوة رسالته و نصر من الله ، و يحول العالم من الشر إلى الخير ، و من النار و الدمار إلى الهدوء و السلام .

إلى قمة القيادة العالمية :

ما أعظم التطور الذى حدث فى تاريخ العرب على إثر بعثة محمد ﷺ ونادت به سورة الإسراء وقصة المعراج فى لغة صريحة بليغة وفى أسلوب مبين مشرق (١) ، و ما أعظم النعمة التى أسبغها الله على العرب ، نقلهم من جزيرتهم التى يتناحرون فيها إلى العالم الفسيح الذى يقودونه بناصيته ، و من الحياة القبلية المحدودة التى ضاقوا بها ، إلى الانسانية الواسعة التى يشرفون عليها ويوجهونها ، وأصبحوا بفضل هذا التطور العظيم الذى فاجأ العرب و فاجأ العالم ، يقولون بكل وضوح و شجاعة لامبراطور المملكة الفارسية العظيمة و أركان دولته : « الله ابتعثنا ليخرجنا من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام » .

(١) أضم سورة الإسراء. قصة المعراج لإعلانات بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو نبي القبلتين و إمام المشرقين و المغربين و وارث الأنبياء قبله و إمام الأجيال بعده .

نعم لقد خرجوا من ضيق الدنيا أولاً إلى سعتها ثم
أخرجوا الأمم من ضيق الدنيا إلى سعتها آخرأ ، و هل
أضيق من الحياة القبلية و الجنسية ، و أوسع من الحياة
الانسانية الواسعة الآفاق ؟ و هل أضيق من الحياة التي لا يفكر
فيها إلا في المادة الرائلة و الحياة الفانية و لا يجاهد إلا في
سبيلها ، من الحياة الايمانية الروحانية التي لا نهاية لها
و لا تحديد ١٩ .

لقد خرجوا من ضيق جزيرة العرب ، و من ضيق
الحياة فيها ، و من ضيق التفكير في مسائلها و مصالحها ،
و من ضيق التناحر على سيادتها ، و من ضيق التكالب
على حطامها القليل و ملكها الضئيل و عيشها الذليل ، إلى
عالم جديد من السيادة الروحية و الخلقية و العلمية و السياسية ،
ليس الدانوب الفأض و النيل السعيد و الفرات العذب
و السند الطويل ، إلا سواقي حقيرة و ترعأ صغيرة فيه ،
و ليست جبال الالب و البرانس و عقاب لبنان و قمم
هماليا ، إلا تلالا متواضعة و سدوداً صغيرة ، و ليست

البلاد الواسعة كالحند و الصين وتركستان ، إلا أحياء ضيقة
و حارات صغيرة ، ونقطاً مغمورة في هذا العالم ، وليست
هذه الأرض كلها — إذا نظر إليها من ارتقى إلى قمة هذه
السيادة — إلا خريطة صغيرة ملونة يراها الطائر المحلق في
السماء ، و ليست الأمم الكبيرة — مع ثقافتها و حضاراتها
و آدابها — إلا أسراً صغيرة في أمة كبيرة .

لقد قام العالم الكبير على أساس العقيدة الواحدة ،
و الايمان العميق و الصلة الروحية القوية ، و كان أوسع
عالم عرفه التاريخ ، و كانت الشعوب التي تكون هذا العالم ،
أقوى أسرة عرفها التاريخ ، تنصر فيها الثقافات المختلفة ،
و العبقريات المتنوعة ، فتكون منها ثقافة واحدة هي الثقافة
الاسلامية ، التي لم تزل تظهر في نوابع الاسلام الذين
لا يحصيهم عدد ، و في المآثر الاسلامية — بين عليية
و عملية — التي لا يستقصيها التاريخ .

لقد كانت — ولا تزال — قيادة هذا العالم بجدارة
و استحقاق ، أشرف قيادة و أعظمها و أقواها في تاريخ

الزعامة و القيادة ، و قد أكرم الله بها العرب لما أخلصوا
لهذه الدعوة الاسلامية و تفانوا في سبيلها ، فأحبهم الناس
في العالم حباً لم يعرف له نظير ، و قلدهم في كل شئ
تقليداً لم يعرف له نظير ، و خضعت للغتهم اللغات ،
و لثقافتهم الثقافات ، و لحضارتهم الحضارات ، فكانت لغتهم
هي لغة العلم و التأليف في العالم المتمدن من أقصاه إلى
أقصاه ، و هي اللغة المقدسة الحبية التي يؤثرها الناس على
لغاتهم التي نشأوا عليها ، و يؤلفون فيها أعظم مؤلفاتهم
و أحب مؤلفاتهم ، و يتقنونها كأبنائهم و أحسن ، و ينبغ
فيها أدباء و مؤلفون يخضع لهم المثقفون في العالم العربي ،
و يقر بفضلهم و إمامتهم أدباء العرب و نقادهم .

و كانت حضارتهم هي الحضارة المثلى التي يتمجد
الناس و يتظفون بتقليدها ، و يبحث علماء الدين على
تفضيلها على الحضارات الأخرى و يطلقون على كل ما
يخالفها من الحضارات - اسم الجاهلية ، و « العجمية »
و ينون عن اتخاذ شعائرها و مظاهرها .

و بقيت هذه القيادة الشاملة الكاملة مدة طويلة
والناس لا يفكرون في ثورة عليها ، و في التخلص منها كما
هي عادة المفتوحين و الأمم المغلوبة على أمرها في كل
عهد ، لان صلتهم بهذه القيادة ليست صلة المفتوح بالمفتاح
أو المحكوم بالحاكم أو الرقيق بالسيد القاهر ، إنما هي صلة
المتدين بالمتدين ، و صلة المؤمن بالمؤمن ، و على الأكثر
إنما هي صلة التابع بالمتبوع الذي سبقه بمعرفة الحق
و الايمان بالدعوة و التفانى في سبيلها ، فلا محل للثورة .
و لا محل للتذمر ، و لا محل لنكران الجليل ، إنما اللائق
أن يعترفوا لهم بالفضل ، و تلهج ألسنتهم بالشكر و الدعاء ،
و أن يقولوا : ربنا اغفر لنا و لاخواننا الذين سبقونا
بالايمان و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك
رؤوف رحيم ، (١) .

و هكذا كان ، فقد ظلت هذه الأمم المفتوحة تعتبر
العرب المنقذ من الجاهلية و الوثنية ، و الداعي إلى

(٢) . سورة الحشر : ١٠ .

دار السلام ، و القائد إلى الجنة ، و المعلم و الأستاذ
في الأدب .

هذه هي القيادة العالمية التي هيأتها البعثة المحمدية ،
و أعلنتها سورة الإسراء ، و هي القيادة التي يجب أن
يحرص عليها العرب أشد الحرص ، و يعضوا عليها بالنواجذ ،
و يسعوا إليها بكل ما أوتوا من مواهب و يتواصى بها
الآباء و الأبناء ، و لا يجوز لهم — في شريعة العقل
والدين و الغيرة — أن يتخلوا عنها في زمن من الأزمان ،
ففيها عوض عن كل قيادة مع زيادة ، و ليس في غيرها
عوض عنها و كفاية ، و هي القيادة التي تشمل جميع أنواع
القيادة و السيادة ، و هي تسيطر على القلوب و الأرواح ،
أكثر من سيطرتها على الأجسام و الأشباح .

إن الطريق إلى هذه القيادة عمدة ميسورة للعرب ،
و هي الطريق التي جربوها في عهدهم الأول ، و الاخلاص
للدعوة الإسلامية و احتضانها و تبنيها و التفاني في سبيلها
و تفضيل منهج الحياة الإسلامي على جميع مناهج الحياة .

و بذلك — من غير قصد و إرادة لنيل هذه القيادة
و تبوتها — تخضع لهم الأمم الاسلامية في أنحاء العالم ،
و تهالك على حبحم و إجلالهم و تقليدكم ، و بذلك
تنتفتح لهم أبواب جديدة و ميادين جديدة في مشارق
الأرض و مغاربها، الميادين التي استعصت على غزاة الغرب
و مستعمره و ثارت عليه ، و تدخل أمم جديدة في
الاسلام ، أمم قتية في مواهبها و قوامها و ذخائرها ، أمم
تستطيع أن تعارض أوروبا في مدنيتهما و علومها إذا
وجدت إيماناً جديداً ، و ديناً جديداً ، و روحاً جديدة
و رسالة جديدة .



الفهرس

٣	كلمة عن الكتاب
	كيف يستعيد العرب مكانتهم-----م
٨	اللائقة بهم و كيف يحافظون عليها ؟
٨	أهمية العالم العربي
٩	محمد رسول الله روح العالم العربي
١٢	الايان هو قوة العالم العربي
١٤	تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية
٢٤	العناية بالفروسية و الحياة العسكرية
٢٧	محرارة التبذير والفرق الهائل بين الغنى والصلعوك
٢٧	إيجاد الوعي في الأمة
٣١	استقلال البلاد العربية في تجارتها و ماليتها
٣٢	رجاء العالم الاسلامى فى العالم العربي
٣٣	إلى قمة القيادة العالمية
٤٠	الفهرس